

86

قصص

الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (30)

نزوة بنى المصطلق

بإعانة: أديب (أحمد عبد القادر)
وإشراف: أديب (أحمد عبد القادر)
إشراف: أديب (أحمد عبد القادر)





علم رسول الله ﷺ أن (بنى المصطلق) يعدون
العدة لقتاله تحت قيادة قائدهم (الحارث بن أبي
ضرار)، فخرج ﷺ مع جمع من أصحابه قاصدا ديار
(بنى المصطلق) حتى وصلوا إلى ماء لهم يسمى
(المريسيع) فأمر أصحابه أن يعسكروا حوله ..
ونصبت لرسول الله ﷺ خيمة من جلد ..

وكان معه في هذه الغزوة السيدة (عائشة)
والسيدة (أم سلمة) رضي الله عنهما ..

وصف رسول الله ﷺ أصحابه للقتال ، فلما علم
(الحارث بن ضرار) ذلك قال لقومه :
- أتانا محمد بما لا قبل لنا به ..

وأخذ يصف أصحابه ويحرضهم على قتال
المسلمين ..

وقبل أن يبدأ القتال بين الفريقين أمر النبي ﷺ
(عمر بن الخطاب) رضي الله عنه أن ينادي في (بنى
المصطلق) ، قائلا :

- « قولوا : لا إله إلا الله ، تمنعوا بها أنفسكم
وأموالكم » ..

فنادى (عمر) رضي الله عنه في (بنى المصطلق) داعيا
إياهم للدخول في الإسلام ، كما أمره الرسول ﷺ ،

فَرَفَضُوا الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَصْرُوا عَلَى
قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ..

وَبَدَأَ الْقِتَالُ عِنْدَمَا رَمَى رَجُلٌ مِنْ (بَنِي الْمُصْطَلِقِ)
الْمُسْلِمِينَ بِسَهْمٍ ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ يَرْمُونَهُمْ
بِالنَّبْلِ بَعْضُ الْوَقْتِ ..

ثُمَّ أَمَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْمِ ،
فَهَجَمَ الصَّحَابَةُ ﷺ عَلَى الْقَوْمِ هَجْمَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ،
فَقَتَلُوا عَشْرَةً مِنْ (بَنِي الْمُصْطَلِقِ) وَأَسْرُوا بَقِيَّةَ الْجَيْشِ ..
وَكَانَ شَعَارُ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ (يَا مَنْصُورُ
أُمِّتِ أُمِّتِ) ..

وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ الْكَثِيرَ مِنْ
أَمْوَالِ (بَنِي الْمُصْطَلِقِ) وَأَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ..

وَكَانَ مِمَّنْ وَقَعَ فِي الْأَسْرِ وَالسَّبْيِ يَوْمَئِذٍ (جَوِيرِيَّةُ
بِنْتُ الْحَارِثِ) قَائِدَ (بَنِي الْمُصْطَلِقِ) الَّتِي أَعْتَقَهَا
الرَّسُولُ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا ..

وبينما رسول الله ﷺ والمسلمون مقيمون هناك ،
بعد هذا النصر المؤزر ، الذي نصرهم الله - تعالى -
به على عدوهم حدث ما كدر صفو الرسول ﷺ
والمسلمين ..

فقد ازدحم الناس على الماء لسقى خيولهم



ودوابهم ، وكان مع (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه

خادم له يهتم بإطعام فرسه وسقيها يسمى
(جهجاه) ولما حاول (جهجاه) جلب الماء من
البئر لسقي فرس (عمر) رضي الله عنه ، زاحمه رجل من
الأنصار يسمى (سان) فاقتل الرجلان على الماء ،
فصرخ (سان) ، قائلا :

- يا معشر الأنصار ..

وصرخ (جهجاه) ، قائلا :

- يا معشر المهاجرين ..

وكان (عبد الله بن أبي بن سلول) زعيم
المنافقين حاضرا ومعه جماعة من قومه ، الذين
يظهرون الإسلام ، ويبتغون في داخلهم عداوة
رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلما رأى ذلك غضب
غضبا شديدا ، وقال مهاجما المهاجرين والرسول ﷺ :
- لقد زاحمونا في بلادنا ، وقاسمونا كل شيء ..

والله ما أرانا وهؤلاء الأجلاف إلا كما قال المثل :
سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ ..

والتفت إلى من حوله محرضا على عصيان رسول الله ﷺ :
- لَا تَنْفَقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّى يَنْقُضُوا
مِنْ حَوْلِهِ .. (يقصد الأعراب) ..

ثم قال في غرور وحقد :
- لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرض منها الأذل ..
وكان (زيد بن أرقم) وقتها غلاما ، وكان يقف
قريبا من (عبد الله بن أبي بن سلول) ، فلما سمعه
وهو يقول هذا الكلام في حق المهاجرين وفي حق
الرسول ﷺ ، لم يعجبه ذلك ، وتوجه في الحال
إلى الرسول ﷺ فأخبره بكل ما سمعه ..

وكان عند الرسول ﷺ كبار الصحابة ، ومن
بينهم (عمر بن الخطاب) ، فغضب غضبا
شديدا ، وقال للرسول ﷺ :

- مر (عباد بن بشر) فليقتل ذلك المنافق ..

فقال له الرسول ﷺ في حلم ورفق :

- « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً

يقتل أصحابه ! » .

ولكى يشغل الرسول ﷺ أصحابه من المهاجرين

والأنصار عن التفكير فيما حدث ، وتلاشياً لوقوع

فتنة بينهم ، أمر ﷺ أصحابه بالرحيل ، وكان ذلك

في وقت لم يتعود الرسول ﷺ الرحيل فيه ..

وقبل رحيل رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون والأنصار

بقليل علم زعيم المنافقين (عبد الله بن أبي بن

سلول) أن (زيد بن أرقم) قد أخبر الرسول ﷺ بما

سمعه منه ، توجه إلى الرسول ﷺ ، وحلف له بأمه

ما قال شيئاً من ذلك ، ولا تحدث به مع أحد ..

وكان (ابن سلول) زعيماً في المدينة ، قبل هجرة

الرسول ﷺ وصحابته إليها ، فقال بعض الأنصار

مُدَافِعًا عَنِ (ابْنِ سَلُولٍ) وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ نِفَاقَهُ :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَعَلَّ زَيْدًا لَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَهُ ابْنُ سَلُولٍ ،
فَنَقَلَهُ إِلَيْكَ خَطَأً ..

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَابَلَهُ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ مِنَ
الْأَنْصَارِ ، هُوَ (أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ
النَّبُوَّةِ ، ثُمَّ قَالَ :



- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ رَحَلْتُ فِي سَاعَةٍ مَا كُتِّ

تَرَحَّلُ فِي مِثْلِهَا أَبَدًا ..

فَقَالَ ﷺ :

- « أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ !؟ »

فَقَالَ (أَسِيدُ) ﷺ ، مُتَعَجِّبًا :

- أَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقْصِدُ !؟

فَقَالَ ﷺ :

- « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي » ..

فَقَالَ (أَسِيدُ) :

- وَمَاذَا قَالَ !؟

فَقَالَ ﷺ :

- « زَعِمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعْرُ مِنْهَا

الْأَذْلُ » ..

فَقَالَ (أَسِيدُ) ﷺ :

- فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ تَحْرَحُهُ مِنْهَا إِنْ

شِئْتَ .. هُوَ - وَاللَّهِ - الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ ..

وَأَصَافُ (أُسَيْدٌ) رَضِيئَةٌ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرْفَقَ بِهِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بِاللَّهِ بِكَ ،

وَإِنْ قَوْمُهُ لَيُنْظِمُونَ لَهُ الْخُرُرَ لِيَتَوَجَّوهُ مَلَكَا عَالِي
الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّكَ قَدْ أَحَدْتَ مِنْهُ مَلَكَهُ

وَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّاسِ طَوَالَ يَوْمِهِمْ حَتَّى

أَمْسَى ، وَطَوَالَ لَيْلَتِهِمْ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَوَأَصَلَ سِيرَهُ

بِهِمْ فِي الْيَوْمِ التَّالِي حَتَّى هَدَاهُم التَّعَبُ وَادَّتْهُمْ

الشَّمْسُ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالرُّوْلِ لِلرَّاحَةِ ، فَلَمَّا بَرَّوْا

عَلَى الْأَرْضِ رَاحُوا فِي يَوْمٍ عَمِيقٍ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ ..

وَقَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحِكْمَةِ أَلْهَمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى -

بِهَا ، حَتَّى يَشْعَلَ الْمُهَاحِرِينَ وَالْأَنْصَارَ عَنْ

الْحَدِيثِ الَّذِي صَدَرَ مِنْ (عَدِ اللَّهِ بْنِ أَسَى) ..

ثُمَّ سَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّاسِ طَرِيقَ الْحِجَازِ قَبْلَ

أَنْ يَعُودَ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا كَانُوا فِي
الطَّرِيقِ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ آذَتْ النَّاسَ وَحَافُوا مِنْهَا ،
فَطَمَأَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَائِلًا .

— لَا تَخَافُوهَا ، فَإِنَّمَا هِيَ لَمُوتٍ عَظِيمٍ مِنْ
عُظَمَاءِ الْكُفَّارِ ..

وَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَجَدُوا زُعِيمًا مِنْ رُعَمَاءِ يَهُودَ (سَيِّ قَيْقَاعَ) قَدْ مَاتَ
وَهُوَ (رَهَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ) وَقَدْ كَانَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَصَنًا
لِلْمُنَافِقِينَ فِي الْمَدِينَةِ . وَبَاصِرًا لَهُمْ ..

وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُورَةٌ
(الْمُنَافِقُونَ) وَهِيَ السُّورَةُ الَّتِي فَصَحَ اللَّهُ - تَعَالَى -
فِيهَا الْمُنَافِقِينَ وَعَدَاوَتَهُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ،
وَمَا قَالَ رَعِيمُهُمْ (عَدِ اللَّهُ مِنْ أُنَى) .

فَلَمَّا أُسْرِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ، أَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِأُذُنِ (رَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ) ، وَقَالَ

« هَذَا الَّذِي أَوْفَى لِلَّهِ بِأَذْنِهِ » ..

وَكَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
أَبِي بَنْ سُلُولٍ) مِمَّنْ أَخْلَصُوا لِلَّهِ دِينَهُمْ ، وَكَانَ مُحِبًّا
لِلرَّسُولِ ﷺ ، وَقَرِيبًا بِاسْتِمْرَارٍ ، عَلَى عَكْسِ أَبِيهِ
زَعِيمِ الْمُنَافِقِينَ ..

فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا أَنْزَلَ مِنْ قُرْآنٍ فَضَحَ فِيهِ الْمُنَافِقِينَ



وعداوتهم للإسلام والمسلمين ، توجه إلى
رسول الله ﷺ ، قائلا :

- يا رسول الله ، قد بلغني أنك تريد قتل أبي
(عبد الله بن أبي) لما بلغك عنه من النفاق ، فإن
كنت تريد ذلك حقا فمرني بقتله ، وأنا أحمل إليك
رأسه .. ثم سكت قليلا ، وأضاف قائلا :

- والله إنني أبر الناس بوالدي ، وإنني أخشى أن
تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى
قاتل أبي يمشي بين الناس فاقتله ، فأكون قد قتلت
رجلا مؤمنا برجل كافر ، فأدخل النار ..

فنظر إليه رسول الله ﷺ مطمئنا له ، وقال في
رفق وحلم :

- « بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا » ..
فشكره (عبد الله) على هذا الحلم في معاملة
أشد الناس عداوة له ..

وَبِعَظْمِ ذَلِكَ لَمْ يَكْفِ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي) عَنْ
عِدَاوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَعَنْ تَحْرِيزِ الْمُنَافِقِينَ
ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ ..

فَكَانَ قَوْمُهُ مِنَ الْأَنْصَارِ هُمُ الَّذِينَ يَقْفُونَ ضِدَّهُ ،
وَيَتَصَدُّونَ لِكُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ تَتَسَمَّى
بِالشَّرِّ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى (عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ) ، وَقَالَ لَهُ ، مَذْكُرًا إِيَّاهُ بِمَشُورَتِهِ حِينَ
أَشَارَ عَلَيْهِ بِقَتْلِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي) :

« كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتُ
لِي أَقْتُلْهُ لَأُرْعَدْتَ لَهُ أَنْفٌ لَوْ أَمَرْتُهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ
لَقَتَلْتَهُ » ..

(أَيُّ لَتَصَدَّى لِلدَّفَاعِ عَنْهُ أَنْاسٌ مِنْ قَوْمِهِ لَوْ أَمَرْتَهُمْ
الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَسَارِعُوا إِلَى قَتْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا نِفَاقَهُ
وَعِدَاوَتَهُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ..) .

فَقَالَ (عُمَرُ) رضي الله عنه :

والله لقد علمتُ أنَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ أعظمُ
بركةً من أَمْرِي ..

(تَمَّتْ)

رقم الإصدار : ٢١ - ٤ / ١٩٩٤

التوزيع الدولي : ٩ - ٢٧ - ٣٧٨ - ٩٧٧

فَصْرُ الْأَنْبِيَاءِ

• الكتاب التالي •

محمد

(صلى الله عليه وسلم)

(٢١)

صلح الحديبية

• احرص على اقتنائه •

